دير قُنَّى [١]

موطن الوزراء والكتاب ، ومعقل المسيحية في العراق

بقلم ميخائيل عوّاد (بغداد)

قضت يد الزمان العاتية أنْ تندثر مئات المواقع العراقية ويغشاها ظلام حالك ، حتى صرنا نتلمّس اخبارها، واصبحنا لا نصل الى نتيجة مرضية عنها الّا ببذل الجهود الكثيرة والمراجعات المختلفة، ولا يخفى ما يحفّ هذه التتبعات التاريخية من شتّى المصاعب ، لأنّ أغلب المصادر القديمة وعرة الاسلوب ، ملتوية المسلك ، مضطربة التفكير. وهذا ما لمسناه عند اشتغالنا في كتاب « تاريخ المدائن » ، وهي من أمهات المدن العراقية التي لَعِبتْ أدوارًا خطيرة في عهود مختلفة مِن تاريخ العراق. وقد رأينا أنْ نقدّم الى القرّاء اليوم احد فصوله ، وهو في دَيْر قُنّى ، من أشهر ديارات المدائن .

١ — الاختلاف في تسمية هذا الدير

تضاربتْ آراء الكتبة والمؤرخين في ضبط اسم هذا الدير ، فأدّى ذلك إلى إطلاق تسميات عديدة له ، تقترب أحياناً من بعضها ، وتبتعد أخرى . ولنأتِ على أهم ما جاء بشأن هذه التسميات :

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: « دير قُنّى — بضم أوله وتشديد ثانيه مقصور »[١] ، وكذا يُقال « قُنًّا » والنسبة اليه قُنَّائي أو قُنَّاتي[٢] . ووردَ باسم دور قُنّى والنسبة اليه قُنّاني أو الدورقُنّي[٣] .

---

١) ياقوت : معجم البلدان (طبعة ليبسك) ٢ : ٦٨٧

٢) ياقوت : معجم البلدان ٤ : ١٧٨ ؛ عريب بن سعد القرطبي : صلة تاريخ الطبري (طبعة ليدن) ص ٩٦

٣) انظر ماري بن سليمان : أخبار فطاركة كرسي المشرق (طبعة رومة) ص ٤ و ٢٨ ؛ عمرو بن متّى : أخبار فطاركة كرسي المشرق (طبعة رومة) ص ٨٦ ؛ هلال الصابئ : تحفة

وذكر السيوطي أنّ القُنّاني منسوب الى قُنّا[1]. وقد أخطأ البكري بقوله أنّ « دير قُنّه — بضم القاف وتشديد النون — بفارس »[2] حيث من الواضح أنّ دير قُنّى واقعٌ في العراق وليس في فارس.

وورد ذكره في شهداء المشرق باسم دير قوني[3]، وفي ذخيرة الأذهان تارة باسم دير قُنّي، وتارةً دور قُنّي واخرى دير قوني[4]. وقد تطرّقَ السمعاني في « المكتبة الشرقية » الى هذا الاختلاف في التسمية حيث قال: « دير قوني وعند العرَب دير قُنّي أو دور قُنّي »[5].

وذكره ياقوت في المشترك بقوله: « بضم القاف وتشديد النون، قُنّ والنسبة اليه القُنّي »[6].

ولم نقفْ في أنساب السمعاني على ما ينير السبيل في هذه التسمية، فقد قال: « القُنّي بضم القاف وفي آخرها النون المشددة المكسورة وهذه النسبة الى قُنّه »[7]. فهل قُنّه هذه هي قُنّى التي عليها مدار بحثنا ؟ أم هي نسبة الى احدى المواقع العديدة التي ذكرها ياقوت في مادة قُنّة من معجمه والتي هي متفرقة في انحاء جزيرة العرب ؟ وذكر السمعاني في محل آخر من كتابه: « القُنّاي — بضم القاف وتشديد النون المفتوحة في آخرها الياء المنقوطة من تحتها باثنين — هذه النسبة الى ..... »[8]، ويلاحظ أنّ الكلمة المطلوبة ناقصة في الأصل.

الامراء في تاريخ الوزراء (طبعة امدروز) ص ٢٨١ ؛ القس بطرس نصري : ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ٢ : ١٠٠

١) السيوطي : لبّ اللباب في تحرير الأنساب (طبعة ليدن) ص ١٨٨ و٢١٣ . وقد ذكرها كلٌ من مسكويه في تجارب الامم (طبعة امدروز) ٢ : ٢٦٠ ؛ والتنوخي في نشوار المحاضرة ٨ : ٣٠

٢) البكري : معجم ما استعجم (طبعة غوتنجن) ص ٣٨١

٣) أدي شير : سيرة أشهر شهداء المشرق ١ : ٣٤

٤) ذخيرة الأذهان ١ : ٤٠، ١٠٧، ٤٣١

٥) السمعاني : المكتبة الشرقية، القسم الثاني من المجلد الثالث، ص ٧٤١

٦) ياقوت الحموي : المشترك وضعاً والمفترق صقعاً (طبعة وستنفلد) ص ٣٦١

٧) السمعاني : الأنساب (طبعة مرجليوت) ورقة ٤٦٢

٨) السمعاني : الأنساب (ورقة ٤٦٣)

يرى القارئ انّه أُستُعملتْ لهذا الدير بضع تسميات نحصرها فيا يلي: (دير قُنّى ، دير قُنّه ، دير قُنّا ، دور قُنّي ، دير قوني) . وعندنا أنّ التسميات الأربع الاولى تُطلق عليه في المصادر العربية ، والخامسة في المصادر الارمية.

٢ ــ تأسيس الدير

تروي سِيَرُ القديسين أحاديث شتى بشأن مار ماري وتأسيسه ديرًا في موقع دير قُنّى ، خلاصتها أنّ امرأة نبيلة كانت تُدعى قوني (لعلّها شقيقة أحد الملوك الفرثيين) ، كانت مصابة بالبرص ، فشفاها ماري باعجوبة ، فقابلته بالإحسان بأن وهبته كثيرًا من ضياعها وأراضيها ، أمّا هو فاكتفى من ذلك جميعاً ببيت النار المجوسي ، حيث شَيَّدَ محلّه ديرًا هو دير قُنّى.

وقد رأينا أنّ مثل هــذه الروايات لا يمكن أن تقوى أمام التمحيصات التاريخية ، فاكتفينا بالاشارة اليها دون التوغل في تفاصيلها وجزئياتها[١].

ولمّا مات ماري ، دُفِنَ في هذا الدير ، ومن ثَمَّ أصبح مدفناً لكثير من جثالقة المشرق.

٣ ــ موقع الدير

يقعُ دير قُنّى على «ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدرًا بين النعمانية ، وهو في الجانب الشرقي معدود في أعمال النهروان ، وبينه وبين دجلة ميل ، وعلى دجلة مقابله مدينة صغيرة يُقال لها الصافية وقد خربتْ . . . وبالقرب منه دير الماقول . . . والمنحدر في دجلة يرى نوره من بُعد . . .»[٢].

وقد أخطأ ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار عندما ذكر موقعه

---

١) تفاصيل هذه القصة في شهداء المشرق لادي شير ١ : ٢٤-٣٦ ؛ وسير الشهداء والقديسين [بالكلدانية] (طبعة بيجان) ١ : ٨١-٨٦ ؛ ماري بن سليمان ، ص ٤ ؛ ذخيرة الأذهان ١ : ٤٠

٢) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧ ، نقلًا عن الشابشتي .

حيث قال: « دير قُنّى وهو ببغداد والمدائن أسفل منها باثني عشر فرسخاً . . . راكبٌ على دجلة ».[1]

والصواب فيما ذكره الشابشتي (ورقة ١١٦ من كتاب الديارات) فقد قال: « انه على ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدراً في الجانب الشرقي ، بينه وبين دجلة ميل ونصف ، وبينه وبين دير العاقول بريد ».[2]

كما أنَّ السيّد أدي شير في كتابه « كلدو واثور » قد وَهِمَ في تعيين موقع الدير وبُعده عن بغداد ، قال انَّه « فوق بغداد على ثمانية كيلومترات منها في الجانب الأيسر من دجلة على كيلومترين منه ».[3]

والحال انَّ هذا الدير تحت بغداد على تسعين كيلومتراً.[4]

وجاء في المكتبة الشرقية « أنَّ دير قوني محلٌ عند كوخي في القرية التي يسمّونها بادرايا ».[5]

وفي هذا القول تساهل كبير ، فانَّ دير قوني ليس في قرية بادرايا ولا بقربٍ منها.

ويعطينا ابن سرابيون كشفاً بالمواقع التي يمرّ بها السائح في طريقه النهري بعد انحداره من بغداد ، بقوله : « واذا ما تتبعنا مجرى دجلة فالمنحدر يمرّ الى السيب ودير العاقول والصافية ودير قُنّى وهمانية وجرجراي والنعمانية ».[6]

وقال القزويني في كتاب آثار البلاد أنَّ « بنارق قرية بين بغداد والنعمانية ، مقابل دير قُنّى ، على دجلة ، وهي الآن خراب ».[7]

---

١) مسالك الأبصار (طبعة أحمد زكي باشا) ١ : ٢٥٦

٢) راجع مقالة رائعة للاستاذ حبيب زيّات في نقد « كتاب الديارات » الوارد في الجزء الاول من مسالك الابصار لابن فضل الله العمري (لغة العرب ٦ [١٩٢٨] ص ٢٢٢-٢٤٢ ، المراجعة ص ٢٢٥).

٣) تاريخ كلدو واثور لأدي شير: مقدّمة الجزء الثاني ، ص ١١

٤) راجع بحث الاستاذ يعقوب نعوم سركيس بعنوان « مدينة بيث ريما » (النجم ١٠ [١٩٣٨] ص ٤٩-٥٢ ، المراجعة في حاشية ص ٥٢ ، وفيها تصحيح لما توهّمه أدي شير .

٥) السمعاني : المكتبة الشرقية : القسم الثاني من المجلد الثالث ، ص ٧٤١

٦) ابن سرابيون : وصف ما بين النهرين وبغداد (طبعة لاسترنج) ص ٩

٧) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد (طبعة وستنفلد) ص ١٠٦

ويشاهد اليوم على ضفة دجلة اليسرى ، في شمال العزيزية ، أطلال تُعرف بين الأهالي هناك باسم « الدير » وهي ثلاثة تلول كبيرة ؛ الشمالي منها : الدير الاعلى ، والوسطي منها : الدير الاوسط ، والجنوبي : الدير الأدنى . ولعلّها بقايا دير العاقول ودير قُنّى[1] .

وخلاصة القول أنّ دير قُنّى يقع في الجانب الشرقي من دجلة ، جنوبي بغداد على نحو تسعين كيلومترًا منها ، ويبعد عن ضفة دجلة الحالية نحو كيلومترين ، نظرًا لتحوّل مجرى النهر على تمادي السنين . وبالطبع فقد كان عند تأسيسه أقرب الى النهر مما هو الآن ، وفقًا لما جاء في « شهداء المشرق » من « انّ المعاربين قاسوا مشقّات كثيرة لكثرة رطوبة المكان لأنّه كان قريبًا من ضفة النهر[2] » ، وكثيرًا ما كان يفرش الرهبان الحصر والثياب من الشط الى الدير عندما ينزل الجاثليق من الشبّارة لاداء الزيارة المفروضة لقبر مار ماري في الدير[3] .

٤ ــ مشتملات الدير

آ ــ كنيسة الدير

أشرنا قبل هذا الى أنّ مار ماري كان قد وقعَ اختياره على بيت النار المجوسي ليقيم محلّه ديرًا وبضمنه كنيسة . وتفيدنا المراجع التاريخية[4] أنه عند وفاته كان قد دُفن عن يمين المذبح ، بالبيعة الكبرى بدور قُنّى .

ويؤخذ من فقرات عديدة وردتْ في كتاب المجدل أن من المراسيم المتبعة عند تبوّء الجاثليق لكرسيّه في العراق ، أن ينحدر وفقًا للترتيبات البيعية المقتضاة لزيارة ضريح مار ماري الذي هو في كنيسة دير قُنّى .

واذا تتبعنا حوادث السنين نجد أنه أصابتْ الدير هجمات متعددة أتلفتْ

---

١) طه باشا الهاشمي : مفصّل جغرافية العراق (طبعة سنة ١٩٣٠) ص ٥٢٩

٢) شهداء المشرق ١ : ٢٤ . وقد أشار المسعودي الى تحوّل ماء دجلة هناك انظر : التنبيه والاشراف (طبعة ليدن) ص ٥٤

٣) ماري ، ص ١٥٥ ؛ وذخيرة الاذهان ١ : ٤٩١

٤) شهداء المشرق ١ : ٣٥ ، ٤٠ ؛ وذخيرة الاذهان ١ : ٤٠

قسماً منه. وقد وقفنا على أن سبريشوع الجداوني[1]، اسقف كاشغر، كان قد جَدَّدَ بناء الهيكل على أثر إحدى النكبات التي لحقت به. ثم تلاه الجاثليق ايليا الثالث المكنّى بأبي حليم، فأعاد تجديده بنتيجة تدمير آخر[2].

ولم نعثر أثناء دراستنا هذا الدير على ما يشير الى هندسة الكنيسة، ولم يتفق لأحد الكتبة الإلماع الى شيء من أوصاف البناء، أو أيّ طرز من العمارة كان قد أُتخذ له!

ب ــ مقبرة الجثالقة

دير قُنّي إحدى غرسات ماري رسول المشرق، ثمّ غدا مثوًى لجسده، فنال بذلك مركزاً سامياً وأصبح محلّاً يزوره المسيحيون للتبرك، كما انه أضحى مقبرةً لأجساد بعض الجثالقة خلفاء ماري. قال السمعاني «. . . وأصبح دير مار ماري مدفناً لرؤساء أساقفة سلوقية القدماء»[3] وممن دُفن في مقبرة الجثالقة هناك اسحق الجاثليق المتوفّى سنة ٤١٠ أو ٤١١ م، وداديشوع شونيل الجاثليق المتوفّى سنة ٤٥٦[4].

ج ــ مدارس دير قُنّي

لا شكّ أنّ أول مدرسة نشأت في دير قُنّي، هي التي أسسها مار ماري وسمّيت باسمه، وانجبت تلاميذ كثيرين انتشروا في اصقاع البلاد ليبشروا بما تلقنوه من مدرستهم الاولى.

وممن نشأ في هذه المدرسة التي عُرفتَ أيضاً بـ «اسكول مار ماري»، العالِم المنطقي متّى بن يونس الذي عظم أمره وخلّف مؤلفات تُعَدّ بالعشرات. ومنهم ايشوعياب القُنّاني، فقد تعلّمَ في اسكول مار ماري وأُسيم قسّاً ودبّر

١) التراجيم السنيّة لايليا الثالث (طبعة القس يعقوب نعمو الكلداني) المقدمة، ص ٨.

٢) عمرو، ص ١١١

٣) المكتبة الشرقية: القسم الثاني من المجلد الثالث، ص ٧٤١

٤) ذخيرة الاذهان ١: ١٠٧، ١٢٠

الاسكول بعد ذلك[١].

ومن المدارس التي حازت شهرة في دير قُنّي «مدرسة مار عبدا»، ويجدر بنا أنْ نسوق هنا كلمة عن هذه المؤسسة التي يحقّ ان نسمّيها باصطلاح اليوم كلّيّة. فقد قال ماري بن سليمان أنّ «مار عبدا (وهو عبد يشوع القناني) تمهّر في اسكول بلده واسيم قسّاً وبنى في بلده (دير قُنّي) ديرًا عظيماً واسكولًا جمع فيه جماعة وعلّم وتنصّر جمع غفير من الناس على يده»[٢].

ويؤخذ مما ذكره «التاريخ السعردي» أنّ مار عبدا بنى ديرًا عظيماً واسكولًا جامعاً وصار اليه الناس من كلّ موضع.. واستغنى مَن يريد التعلّم باسكوله عن الخروج الى الرها[٣].

وممن تمهّر فيه أحي وباباي الجاثليقان اللذان دبّرا الاسكول بعد تخرّجهما منه مدة طويلة[٤].

وكانت اللغة العربية، فضلًا عن الارمية واليونانية، تُدرّس في هذه المدرسة العظيمة، كما كانت تدرّس في مدارس نصيبين والرها وسلوقية. ويُضاف الى هذه اللغات مجموعة قيّمة من العلوم والفنون كالنحو والمنطق والشعر والهندسة والموسيقى والفلك والطب والفلسفة والعلوم الدينية. وبطبيعة الحال فقد كان لهم خزانة كتب حافلة تضمّ الكثير من المؤلفات القيّمة التي كانت متداولة في ذلك العصر[٥].

ولكنّ شيئاً لا يستقرّ على حال. فقد حدث يوماً أنّ الملك فيروز أصدر امره الجائر — في اواسط القرن الخامس للميلاد — بهدم البيع والديارات وما اليها من المؤسسات، فكان اسكول مار عبدا إحدى تلك الضحايا[٦].

١) ماري، ص ١١٧؛ وراجع عن هذه المدرسة ما جاء في مقالة نفيسة للأب أنستاس ماري الكرملي، بعنوان مدارس الزوراء في عهد الخلفاء (المشرق ١٠ [١٩٠٧] ٤٤٥).

٢) ماري، ص ٣٨

٣) التاريخ السعردي (طبعة أدي شير في باريس) ١: ١٩٥

٤) ذخيرة الاذهان ١: ٩٥، وعمرو بن متّى، ص ٣٥

٥) ادي شير: كلدو واثور، ص ٧ من مقدّمة المجلد الثاني.

٦) التاريخ السعردي ٢: ١٥؛ وماري، ص ٤٢

د ـــ سور الدير

دير قُنّى « دير عظيم شبيه بالحصن المنيع وعليه سورٌ عظيم عالٍ محكم البناء »[1]. هذا ما قاله ياقوت في معجمه. ونستدلّ من كلامه أنّ هذا السور كان لا يزال منيعاً في حدود سنة ٥٤٥ هـ (١١٥٠ م) وذلك عند اقتراب العساكر السلجوقية من قرية بنارق القريبة من دير قُنّى وانهزام أكثر سكانها. قال بعض اولئك المنهزمين : « فلمّا كان الليل عبرنا دجلة لنجيء الى دير قُنّى لأنّه ذو سورٍ منيع. وبتنا فيه ثمّ تفرقنا في البلاد. »[2]

وقد ظلّ هــذا السور قائماً حتى اواخر عهد الدير ، وكان لا يزال ماثلاً للعيان أيام ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م) حيث قال: « . . . ويسكنه الآن بعض الرهبان الصعاليك »[3] ، وهذا يشير الى أن الدير قد وصل الى درجة بالغة من الانحطاط وآل أمره الى أن هجره أغلب رهبانه ، حتى لم يعدْ فيه منهم سوى تلك الشرذمة.

هـ ـــ قلالي الدير

امّا قلالي الدير فكان عددها حسب رواية ياقوت مائة قــلّاية لرهبانه والمتبتلين فيه ، كلّ واحدة منها لراهب ، وكانوا يتبايعون هذه القلالي بينهم بمبالغ تتراوح من ألف دينار ؛ الى مائتين ؛ الى خمسين ديناراً. وكان حول كلّ قلّاية بستان ذو ثمار . ولا ريب أن أثمان القلالي كانت تختلف باختلاف مواقعها واتقان بنائها واتساع البساتين المحدقة بهــا وارتفاع غلالها ، وكانت هذه الغلّة تباع من مائتي دينار الى خمسين ديناراً.

نرى من هذا ان قلالي الدير كثيرة العدد غالية الثمن ، لكننا لم نجد شيئاً يدلّ على تخطيطها أو طرازها المعماري ، اذ لم يحتفل أحد القدماء بمثل هذه النقاط

١) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧ ؛ والشابشتي (دراسة ساخو) ص ١٧

٢) معجم البلدان ١ : ٧٣٩ ؛ وراجع آثار البلاد للقزويني ، ص ١٠٦ : مادة بنارق.

٣) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧

والاوصاف المهمة[١].

و ــ مزروعات الدير

الزراعة من الاعمال الضرورية التي يقوم بها الرهبان ، « فكانت الأديار والقلالي محفوفة بالبساتين والرياض ، فيها أصناف الأشجار والثمار والبقول والرياحين وكانت المزروعات تتنوّع بتنوّع الأمصار والأتربة وتكثر أو تقلّ حسب مستغلّها ورواج مبيعه في حاجات الدير ، وكانت الكروم من ثمّ اوفرها انتشاراً واوسعها بقاعاً ، ومن هذا ما اشتهر به دير الزندورد بالجانب الشرقي من بغداد ، ونظيره في كثرة الفواكه والاترج والأعناب دير قُنّى. »[٢]

وما يقوم بزراعته رهبان الدير يكون لهم مورداً لاقتناء حاجات الدير ولوازمهم ، ومن هذا ما ذكره ياقوت: « انّ حول كل قلاية بستان فيه من جميع الثمار ، يقضي الراهب فيه قسماً من نهاره ، وتُباع غلّة البستان منها ؛ من مايتي دينار الى خمسين ديناراً. »[٣]

وكانت المياه تساق الى بساتين القلالي من نُهير كان يجري في وسط الدير[٤] ، ولا شكّ أنّ مياه هذا النهير كانت تؤخذ من النهروان باعتبار أن مستواه أعلى من مستوى دجلة .

٥ ــ الاعياد المحتفل بها في الدير

لكلّ دير من الاديار عيد خاص ينفرد به تقريباً دون سواه ، فيشمل جمالُ العيدِ وابهتُه جميعَ سكان الدير ويمتد الى ما يجاور الدير من قرى وأرياف ، فيخرج الرهبان والقسوس في ذلك العيد الى المذبح وبأيديهم المجامر ، وقد تقلّدوا الصلبان وتوشّحوا بالمناديل المنقوشة ، وجميعهم يرتّلون التراتيل الدينية ،

١) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧ ، وراجع « الديارات النصرانية في الاسلام » للاستاذ حبيب زيات ، ص ٣٠

٢) الديارات النصرانية في الاسلام ، ص ٣٣

٣) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧

٤) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧

فتتجلّى عندئذ عظمة العيـد وجماله، ويتقاطر الأهلون من القرى المجاورة ليشتركوا بهذه المظاهر. ولا شك انّه كان لدير قُنّي عيد خاص به؛ ذكره بعض المؤرخين، من ذلك ما قاله ابن عبد الحق في مراصد الاطلاع: «ولدير قُنّي يوم مشهود عند النصارى يقصدونه فيه، وكان فيه صخرة مصنوعة يُنضَح منها الدهن في يوم عيده، فيأخذه النصارى للبركة ويسمّونه طيبوث»[1].

ومن الأعياد العظيمة في هذا الدير عيد الصليب. قال الشابشتي: «انّ عيد الصليب هو اكبر عيد في الدير.»[2] وكثيراً ما ينحدر الجاثليق الى دير قُنّى، ليقوم بنفسه بالمراسيم العظيمة التي تُقام في هذا العيد.

٦ ــ النواحي المجاورة للدير

يجاور الدير ديارات اخرى وقرى متعددة، فمن هذه الديارات: دير العاقول، ودير مار جبرائيل المعروف بدير الكرسي. ومن القرى: قرية دير قُنّى، وبنارق، وبادرايا، وباكُسايا، والصافية، والجُدَيدة، وغيرها. لكنّ ما يلامس موضوعنا اليوم بصورة مباشرة من هذه المواقع هو: قرية دير قُنّى، التي سنخصّها دون غيرها بكلمة فيما يلي:

قرية دير قُنّى

الى جانب هذا الدير قرية كبيرة تُعرف أيضاً باسم دير قُنّى، أخرجت عدداً من الكتّاب والوزراء[3]، وقد ذكر الطبري هذه القرية بقوله: «إنّ أبا أحمد بن المتوكل كان بالفرك، فأعدّ الشذا والسميريات والمعابر والسفن[4]؛

١) ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع (طبعة ليدن) ١: ٤٣٧. والطيبوث من الارمية (ܛܝܒܘܬܐ) انظر: مسالك الابصار: قسم التصويبات، ص ٤٢ والصليب في الاسلام لحبيب زيات: حاشية ص ٤٤؛ وكذا التراجيم السنية: حاشية ص ٢٠٠

٢) الشابشتي (دراسة ساخو) ص ١٧

٣) مسالك الابصار ١: ٢٥٦

٤) هذه من وسائط النقل النهرية في ذلك العصر. ومن أراد التوسع في معرفتها فليراجع مقالة نفيسة نشرها الاستاذ حبيب زيات في مجلة لغة العرب (٥ [١٩٢٧] ٤٦٠-٤٦٥) بعنوان «السفن والمراكب في بغداد في عهد العباسيين»

للرحيل لمحاربة صاحب الزنج ، فصار الى رومية المدائن ، ثم صار منها فنزل السيب ثم دير العاقول ثم جرجرايا ثم قُنَّى.»[١]

وخالط ياقوت بعض الشك ، في كتابه « المشترك » لدى كلامه على مادة (قُنَّ) ، حيث قال : « وقُنَّ اسم قرية على ظنّ أبي سعيد . قال: وعُرف بهذه النسبة أبو مُسَاعد عبد الغالب ابن جعفر بن الحسن بن عليّ الضرّاب يُعرف بابن القُنّي . . . (قال ياقوت) : وأنا أظنه منسوباً الى دير قُنَّى بين بغداد وواسط ».[٢]

وأشار ابن عبد الحق الى أنّ هذه القرية كانت من قرى النهروان.[٣]

وقد مزج المسعودي بين دير قُنَّى والصافية ، القرية المقابلة لها بقوله : « وتفرّقَ تلاميذ ايشوع الناصري في الأرض ، فصار ماري الى ما دنا من العراق فمات بمدينة دير قُنَّى والصافية على شاطئ دجلة بين بغداد وواسط . وهذا البلد بلد عليّ بن عيسى بن داود بن الجرّاح ، ومحمد بن داود بن الجرّاح وغيرهما من الكتّاب. فقبره هنالك في كنيسة الى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلثين وثلثمائة ، تعظّمه أهل الدين النصرانية ».[٤]

والغريب أنّ اسم دير قُنَّى حُرِف الى برمى ، في الطبعة المصرية لمروج الذهب (انظر ١: ١٩٣ من طبعة القاهرة لسنة ١٣٤٦ هـ) .

وقد أُقيم في قرية دير قُنَّى ديارات أُخرى ، منها الدير الذي شيّده مار عبدا القُنّائي ؛ الذي نَصَبَ فيه مدرسة كليّة كما أوضحنا آنفاً .

وصادف أنّ المتوكّل تغيّر على بختيشوع الجاثليق ، فهدم ديرًا بدور قُنَّى وأقطعه لمحمد بن جميل صاحب الشرط ليَبنيه منزلًا ، وأُخرجتْ عظام مار ابراهيم ورُميتْ في دجلة ، وقيل أنّه كان يُرى على الماء مثل السراج مدة طويلة.[٥]

---

١) تاريخ الامم والملوك للطبري (طبعة ليدن) ، السلسلة الثالثة : ص ١٩٦١

٢) المشترك ، ص ٣٦١

٣) المراصد ١: ٤٣٧

٤) مروج الذهب للمسعودي (طبعة باريس) ٢ : ٣٠٠

٥) ماري ، ص ٧٩

٧ ــ مشاهير دير قنى

لا يسعنا في هذه العجالة إلّا ذكر كلمة عن أبرز نوابغ هذه البقعة ، وان استقصاء اخبارهم مما يطول شرحه فيخرج بنا عن الحدود التي رسمناها في هذا البحث فاكتفينا بذكر اثني عشر منهم :

آ ــ مار عبدا

هو مار عبديشوع القنّائي ، كانت امّه فاسدة ، والاعجوبة ان تلد امرأة فاجرة قديساً . ولمّا ولدته طرحته في البيعة وكفله النصارى وربّوه ، وتعلّم في اسكول بلده وتمهّر وأُسيم قساً ، وبنى ديراً عظيماً واسكولاً جامعاً وصار اليه الناس من كلّ موضع ، فعظم أمره وصار فيه ستّون نفساً معلّمون وغيرهم[1] .

ب ــ الجاثليق ايشوعياب (الرابع) بن حزقيال

من دور قنى ، تعلّم في اسكول مار ماري وأُسيم قساً فحُمِدتْ طريقته وحَسُنَ أثره في العفة والعلم ، جعله الجاثليق عبد يشوع الاول اسقفاً على القصر والنهروانات ... ودبّر الاسكول بقيّة ايام عبد يشوع . وكانت وفاته سنة ١٢٠٦ م[2] .

ج ــ أحي الجاثليق

من تلاميذ مار عبدا ، وكان قبل جثلقته قد أُنتخبَ رئيساً لدير مار عبدا ، وفوّض اليه تدبير الاسكولانيين فيه .

ولما توفي اسحق الجاثليق اجتمع أصحاب الاختيار وأُسيم أحي على الرسم بالمدائن سنة ٤١٨ م. وأحبّه يزدجرد. ثم ذهب الى فارس فسأل عن قبور الشهداء الذين قبلوا الشهادة في أيام شابور . وقد ألّفَ كتاباً أثبتَ فيه أخبار الشهداء

---

١) التاريخ السعردي ١ : ١٩٥-١٩٦ ؛ ماري ، ص ٢٨ ، ٢: ؛ عمرو ، ص ٢١ ؛ كتاب الرؤساء لتوما المرجي (مقدمة المستشرق بدج) ١ : ١٢١ ؛ شهداء المشرق ٢ : ٢٧٦ ؛ ذخيرة الاذهان ١ : ٩٥-٩٦ ، ١٠٧ ؛ كلدو واثور ٢ : ٢٠

٢) ماري ، ص ١١٧ ؛ ذخيرة الاذهان ١ : ٤٥

الذين استشهدوا بالمشرق ، وأثبتَ هذه الأخبار ايضاً دانيال بن مريم في تاريخه المسمَّى اقلاسيسطيقي . وألّف أخي ايضاً سيرة مار عبدا . وكانت مدة جثالقته اربع سنين ، واستناح ودُفن بالمدائن[1].

د — متّى بن يونس

قال ابن القفطي: «متى بن يونس النصراني المنطقي ، ابو بشر نزيل بغداد ، عالم بالمنطق ، شارحٌ له ، مُكثِرٌ وَطِيءُ الكلام ، قَصْدُهُ التعليم والتفهيم . وعلى كتبه وشروحه إعتماد أهل هذا الشأن في عصره ومصره . وكان ببغداد في خلافة الراضي بعد سنة عشرين وثلثمائة ؛ وقبل سنة ثلثين . وله مناظرة جرتْ بينه وبين ابي سعيد السيرافي النحوي في مجلس عام بحضرة الفضل بن الفرات المعروف بابن حترابة .

وذكره ابن النديم في كتاب الفهرست فقال : ابو بشر متّى بن يونس من أهل دير قُنّى ، ممّن نشأ في اسكول مار ماري ، قرأ على قُوَيْري وعلى روفيل وبنيامين وعلى أبي أحمد بن كَرْنيب ، واليه انتهتْ رئاسة المنطقيين في عصره .

ومن تصانيفه : كتاب تفسير الثلاث مقالات الاواخر من تفسير ثامسطيوس ، كتاب نقْل كتاب البرهان ، كتاب نَقْل كتاب سوفسطيقا ، كتاب نَقْل كتاب الشعراء ، كتاب نَقْل كتاب الكون والفساد بتفسير الاسكندر ، كتاب نَقْل اعتبار الحِكَم وتعقُّب المواضع لثامسطيوس ، كتاب نَقْل كتاب تفسير الاسكندر لكتاب السماء ، واصلحه ابو زكريا يحيى ابن عدي ، وفسَّرَ متّى الكتب الاربعة في المنطق بأسرها وعليها يعوّل الناس في القراءة ، وله تفسير كتاب ايساغوجي لفرفوريوس وهو المدخل الى المنطق ، كتاب صدر كتاب انالوطيقا ، كتاب المقاييس الشرطية»[2].

---

١) عمرو ، ص ٢٥ ؛ ذخيرة الاذهان ١ : ١٠٧ ؛ التاريخ السعردي ١ : ٢١٢ ؛ وقد ذكر ماري (ص ٢١) أنّ مدّة رئاسته كانت سبع سنين وأشهُر ، خلافاً لسائر المراجع التي تقول أنها كانت أربعاً .

٢) تاريخ الحكماء للقفطي (طبعة ليبسك) ص ٣٢٣ ؛ الفهرست لابن النديم (طبعة ليبسك) ص ٢٦٣ ؛ التنبيه والاشراف للمسعودي ، ص ١٢٢ ؛ طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (طبعة

وكانت وفاة متّى بن يونس ببغداد سنة ٩٤٠ م .

هـ ــ الفضل بن يحيى بن فَرُّخان شاه الديراني النصراني

كان من دير قُنّي. وحدث يوماً ان قبض الخليفة المقتدر على جميع املاكه ، وكانت للفضل عند رجلٍ مائة وخمسون ألف دينار فأُخذت ايضاً من الرجل وضُمّنت الى ما صودِرَ منه ، ووجّه شفيع المقتدري بأمر الخليفة ، ومعه غلمان وخَدَم ، الى قُنّي فأحصوا تركة الفضل وضياعه. وكانت وفاته سنة ٩١٥ م [١].

و ــ الحسن بن مَخْلَد بن الجرّاح

هو ابو محمد الكاتب الوزير ، وُلِد في قرية دير قُنّي سنة ٢٠٩ هـ ، وعُيّن على ديوان الضياع سنة ٢٤٣ هـ ، ثم ولّاه الخليفة العباسي المعتمدُ منصبَ الوزارة في سامراء سنة ٢٦٣ هـ ، وكانت هذه المدينة اذ ذاك مقرّ الخلافة العباسية ، وكان الحسن بن مَخْلَد في الوقت عينه كاتب سرّ الموفق أخي المعتمد . ولكن الحسن فرَّ بعد شهرٍ تقريباً الى بغداد عندما وصل موسى بن بغا الى سامراء ، وعندئذٍ تولّى الوزارة عوضه سليمان بن وهب ، وتولّى كتابة السر ولدُه عبيدالله. وفي العام التالي طُرِد سليمان ونهب بيته ، وبذلك تولّى الحسن الوزارةَ للمرة الثانية. ثم دارتْ الايام عليه مرة أخرى فصُودِرتْ املاكه وأخيرًا نُفيَ الى مصر حيث ابن طولون على دست الحكم ، فأكرمَ هذا مثواه ، ولم تمضِ مدة وهو في نعيمه هذا ، إلّا انقلب النعيم جحيماً ، فأمر ابن طولون بالقاء القبض على الحسن فحبسه ثم دسَّ اليه في شربةٍ فقتله بها ، وتندّم أخيرًا على قتله ، وكانت وفاته سنة ٢٦٩ هـ [٢].

مل) ١ : ٣٢٥ ؛ تاريخ مختصر الدول لابن العبري ، ص ٢٨٥ . وفي «المخطوطات العربية لكتبة النصرانية» ، للاب لويس شيخو اليسوعي (ص ١٦) ذكر ما تبقى من مؤلفاته.

١) صلة تاريخ الطبري لعريب ، ص ٥٩

٢) المعلمة الاسلامية (الترجمة العربية) ١ : ٣٧٤ ، الطبري ٣ : ١٤٣٥ ، ١٤١٥ ؛ التنبيه والاشراف ، ص ٣٦٩ ؛ تاريخ اليعقوبي (طبعة ليدن) ٢ : ٦٠١-٦١٧ ؛ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (طبعة دار الكتب المصرية) ٣ : ٣٧ ، ٤٥ ؛ الكامل لابن الأثير (طبعة اوربة)

ز ـــ أبو الحسن عليّ بن عيسى بن داود ابن الجرّاح

من أهل دير قُنّى ، كتبَ في الدواوين وتقلّد كثيرًا منها رئاسةً . وتولّى الوزارة سنة ٣٠١ هـ في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله . كان من خيار الوزراء ، محبًّا لمجالسة العلماء ، تُوفي سنة ٣٣٤ هـ[١].

ح ـــ الوزير ابن الفيّاض

كان من دير قُنّى ، وصلنا عنه أبيات شعرية مدحه بها البحتريّ وهي هذه :

ما تُقَضّى لُبانةٌ عِند لُبْنَى ؛ والمُعَنَّى بالغانيات مُعَنَّى !
نزلوا رَبوة العراق آرتيادًا أيُّ أرض أشفُّ دارًا وأسنى ؟
بين دير العاقول مُرتَبَع أشـــرف مُحتلُّه الى دير قُنَّى ،
حيث بات الزيتونُ من فوقه النخلُ عليه ورْق الحَمَام تَغَنَّى .
ما المَعَالي إلّا المكارمُ تردا دُ ، وإلّا مصانعُ المجد تُبْنَى [٢]

ط ـــ مالك بن شاهي النِفَّري

من دير قُنّى ، كان يسعى مع بعض رفاقه له في البيعة لابراهيم بن المهدي ، فأرسلَ المأمون بطلبهم ، وضربه مع أصحابه وحبسهم ، وكان ذلك سنة ٢١٠ هـ[٣].

ي ـــ محمد بن عليّ القنّائي

كان من اصحاب الحــلّاج ، فقُبِض عليه وكُبِسَ داره فوُجد فيها دفاتر مكتوبة بماء الذهب ومبطّنة بالديباج والحرير ومجلّدة بالأدَم ؛ وأشياء أخرى

---

٧ : ٥٤ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ؛ الفخري لابن الطقطقى (طبعة باريس) ص ٣٤٢ ؛ نشوار المحاضرة للتنوخي ١ : ٢٠ ، ٢٣ ، ٨ : ٢٠ ، ٦٦

١) تاريخ الوزراء للصابئ ، ص ٢٨١ ؛ النجوم الزاهرة ٣ : ١٩١ ، ٢٨٨ ؛ مروج الذهب ٢ : ٣٠٠ ، صلة الطبري ، ص ٩٦ ، ١٦٥ ؛ نشوار المحاضرة ١ : ٢٥ ، ٢٩ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ١٠٤ ، ٢٢٥ ؛ الفهرست لابن النديم ، ص ١٢٩

٢) مسالك الابصار (ص ٢٥٧) .

٣) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧ ؛ اليعقوبي ٢ : ٥٥٩ ؛ الطبري ٣ : ١٠٧٢ ، ١٠٧٥ ؛ تاريخ بغداد لابن طيفور (طبعة ليبك) ٦ : ١٠٠ ، ١٧٦

من آثار الحلّاج[١].

ك ــ أبو قرّة الحسين محمد بن عليّ القنّائي

رجلٌ من دير قُنى ، حسن الذكاء. نشأ بين كتّاب واسط وعمّالها وتخرّج معهم واختص بأحمد ابن عليّ القنّائي ، فتمهّر ؛ ولم يزلْ يتدرج في التصرّف حتى تقلّد رئاسة مدينة واسط . وفي سنة ٣٦٠ ﻫ قُبض عليه بقرية الجامدة من أعمال واسط وحُمل الى جنديسابور فمات بها[٢].

ل ــ أبو عبدالله حمد بن محمد القنائي

ابن اخت الوزير الحسن بن مَخْلَد الجرّاح ، خلف خاله دفعاتٍ على ديوان الخراج ومرةً على ديوان الضياع ، ثم ولي الخراج والضياع العامة بالسواد[٣].

٨ ــ اقوال الشعراء في دير قُنى

تَغنّى الشعراء بمقطّعات وقصائد في هذا الدير ، وأطلقوا العنان لقرائحهم في التصوّر والتفنن في النظم ، وأمامنا بعض المقطعات الخالدة من جمال الشعر :

قال ابن جمهور ، وهو ابو عليّ محمد بن الحسن القمّيّ :

يا منزل اللَّهْو بدير قُنّى ، قلبي الى تلك الرُّبى قد حَنّا !
سَقيًا لأيّامك ، لمّا كُنّا نختار منك لَذّةً وحُسْنا ،
أيامَ لا أنعَم عيش منّا ، اذا انتَشَيْنا وصَحَوْنا ، عُدْنا .
وان في دَنٍّ نزلنا دَنّا ، حتى يُظَنّ أنّنا جُنِنّا .
ومُسعِدٍ في كلّ ما أرَدْنا ، يحكي لنا الغُصْنَ الرطيبَ اللّدْنا ،
أحسن خلق الله ، اذ زانَحنا ، وجسَّ زير عوده وغَنّى .
بالله ، يا قسّيس ، يا با قُنّي ، متى رايتَ الرشأ الأغَنّا ؟
متى رايت فتيتي تَحنّا ، آه ، اذ ما ماسَ أو تثنّى ،
أسأتُ اذ أحسنتُ فيك الظَّنّا !

---

١) صلة الطبري ، ص ٩٠ ، ٩٦
٢) تجارب الامم لمسكويه ٣ : ٢٦٠ ، وحاشية ص ٣٨٦
٣) نشوار المحاضرة ٨ : ٢٠٣

وبات فيه الوزير عليّ بن مقلة ثم أصطبح فيه ، وقال :

باتَ بدِيرِ تَجنِي غار الجُناحْ ، بدير قُنَّى من وُجُوهٍ مِلاحْ !
حتى تَلا الراهبُ مَزْمُورَه ، وضَمَّخَ الأُفقَ خَلُوقُ الصَّباحْ .
فهلْ فتًى يُسعدُني عاقدًا ذيلَ غَبُوقٍ بذيولِ أصطِباحْ ؟
أُطيعُه في كل ما يشتهي ، كطاعةِ الرِّيشِ لِأَمرِ الرياحْ ؟ (١

وللبحتري أبيات يمدح بها الوزير ابن الفيَّاض ذكرناها لدى الكلام عن هذا الوزير . ولابن الحدّاد المصري قصيدة يصف كأساً فيه صورة كسرى تحت شجرة وردٍ :

إنَّ عَجزًا كما نكون وغَبْنًا أن نُرى صاحيَيْنِ في دير قُنَّى !
حبَّذا روضةُ المدبَّجُ ليلاً ، وهواه ذاك المُمَسِّكُ رُدْنَا !
بِمَةً أُلبِسَتْ من الزَّهر ثوبًا ، فتَراها ترداد طيبًا وحُسنًا :
قد جرَى السلسبيل بالمِسك فيها فحوَته الدِّنانُ : دَنًّا فدَنًّا .
كم سَحَبنا به من اللَّهو ذيلًا ، واختصرنا به من العيش غُصنًا !
وخلَونا بخُسرُوانيّ كِسرى وهو يُسقَى طَورًا وطورًا يُغَنَّى ،
تحتنا فَردةٌ من الوَرْد ، إلّا أنها من أنامل البدر تُجنَى ! (٢

وحكى جحظة البرمكي قال : كنتُ بحضرة اسماعيل بن بُلبُل بواسطَ أيام حرب العلويِّ البصريِّ ، والموفّق الناصر يقاتله . فلما أنصرفتُ رافقني البحتري ، وكان قد زار ابن بُلبُل . فلما وصلنا الى دير قُنّى قال لي : ويحك يا جحظة ! هذا دير قُنّى وهو من الحُسن والطيب على ما ترى ! وانتَ انتَ ! وطنبورُكَ طنبورُكَ ! فهل لك ان نقيم به اليوم ، فنشربَ ونطرب ، ونتنعَّم ونلعب ؟ فقلتُ : نعم ! ولم يكنْ معنا نبيذ . فسألنا عمن يقربُ منّا من العمّال ، فكتب اليه البحتري :

يا أبنَ عيسى بنِ فَرُّخانَ ، وللفُرْسِ بعيسى بن فَرُّخان أفتخارُ !
قد حلَلْنا بدير قُنَّى ، وما ينـبغي قِرَّى غيرَ أن يكون عُقارُ !

١) مسالك الابصار ، ص٢٥٧

٢) معجم البلدان ٤ : ١٧٨ ، ومسالك الابصار ، ص٢٥٧ ، وبينهما بعض الاختلاف في في تدوين هذه الابيات .

فأسقِ من حيثُ كان يشربُ كِسرى عُصبةً كلّهم ظِماءٌ حِرارُ،
من كُمَيتٍ تولّت الشمسُ منها وما تولّته من سِواها النارُ.

فوجّه اليه عشرين دنّاً شراباً، ومائة دجاجة، وعشرين حملاً، وفاكهةً.
وعملتُ في الأبيات لحناً. فلم نزلْ نشربُ عليه يومَنا وليلتنا، وأخذتُ فيها معنًى
فقلتُ:

وبات يَسقينا جِنانيةٌ ضنّت بها الشمسُ على النار!(١

٩ — نهاية الدير والقراضه

لم تصلنا معلومات كافية عن خراب هذا الدير الكبير ونهايته، وجلّ ما
بلغنا اخبار مقتضبة، من ذلك ما ذكره ياقوت (المتوفّى سنة ٦٢٦ هـ) بقوله:
«وامّا الآن فلم يبقَ من هـذا الدير غير سوره وفيه رهبان صعاليك، كأنه
خرب بخراب النهروان»[٢].

وانّا نعلم أن سبب خراب النهروان هو اختلاف السلاطين السلجوقيين
وقتال بعضهم لبعض، ومنافساتهم التي دمّرت كل عمران[٣]. ولا يخفى أنّ
الصدمات التي لاقاها الدير كانت كثيرة العدد بالغة التخريب، فقد قال ماري
ابن سليمان ان الملك فيروز بعد عودته من بلد الترك (أيام بابويه) عادَ الى شرّه
ورام محق النصرانية، فصار يهدم البيع والديارات. ومن المؤكد أن بعض شظايا
هذه النكبة كانت قد أصابتْ دير قُنّى فأبادتْ قسماً من معالمه[٤].

ومن النكبات التي حلّت به انّ الكواكبي المعروف بابن البقّال، الذي
كان معلماً لبهاء الدولة، اعتقل الجاثليق ببغداد، وانحدر الى دير قُنّى، وتناهى
في القبح وفعل الشرّ، فشتّت الرهبان وصادرهم، فقُبِضَ عليه وحُمل الى بغداد

---

١) مسالك الابصار، ص ٢٥٨.
٢) معجم البلدان ٤: ١٨٧.
٣) معجم البلدان ١: ٧٣٩، مادة بنارق
٤) ماري، ص ٤٣؛ والتاريخ السعردي ٢: ١٥

وقُتل ورُميت جيفتُه الى الماء[1].

ويؤخذ من كلام ابن عبد الحقّ في مراصد الاطلاع أنّ هـذا الدير قد استولى عليه الخراب في عهده ، ومن المعلوم أنّ وفاته كانت في اوائل القرن الرابع عشر للميلاد.

ويشاهد اليوم على ضفة دجلة اليسرى أطلال عمارات قديمة يسمّيها الاهلون هناك « الدير » ولا يبعد أن تكون تلك الأطلال بقايا دير قُنّى ودير العاقول ودير مار جبرائيل[2].

خاتمة

نخرج من بحثنا ان هذا الدير الشهير ظلّ عامرًا برهبانه مدة طويلة قد تبلغ الألف سنة ، ثم تطاولت عليه يد الزمن وانتابته الأهوال فألحقته بالكثير من رفاقه ، التي صرنا لا نعلم عنها أكثر مما نقع عليه من الشذرات المتناثرة في بطون الكتب.

---

١) ماري ، ص١٠٨ و١٠٩

٢) « موضع مقتل المتنبي » للاستاذ يعقوب نعوم سركيس (مجلة الاعتدال النجفية ٤ [١٩٣٧] ص١٩٥)